



ممارسات التنشئة الثقافية بالمجتمع الجزائري واشكالية بناء الهوية:

مقاربة أنثروبولوجية

Cultural Enculturation Practices in Algerian Society and the Challenge of Identity Construction: An Anthropological Approach

جياس هدى

جامعة قسنطينة 2 - عبد الحميد مهري

houda.djebbes@univ-constantine2.dz

تاريخ النشر: 2024/06/30

تاريخ القبول: 2024 /06/01

تاريخ الاستلام: 2024/05/29

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل الآليات التي تُشكل من خلالها ممارسات التنشئة الثقافية الهوية الجزائرية في ظلّ التحولات المجتمعية المعاصرة. تعتمد الورقة على مقاربة أنثروبولوجية تجمع بين التحليل النظري والبحث الميداني، حيث تم إجراء مقابلات نصف موجهة مع أفراد من أجيال ومستويات اجتماعية مختلفة خلال سنة 2024. كشفت النتائج عن أهمية التنسيق والتكامل بين التنشئة الثقافية الأولية داخل الأسرة والثقافة المعروضة في المؤسسات التربوية الرسمية. لقد أبرزت الدراسة الدور الحاسم للتنشئة الثقافية في الصحة النفسية-الاجتماعية حيث يرتبط التماسك الهوياتي والتفاوض الواعي بالموارد النفسية الإيجابية، وهو ما دعمته النتائج من الدراسات الميدانية الطولية التي تؤكد أنّ قوة الارتباط بالثقافة الأصلية تعمل كعامل وقائي للصحة النفسية. كما خلصت إلى ضرورة تطوير سياسات ثقافية وتربوية وسيطة تعترف بالتعددية الداخلية وتوفر أطراً للتفاوض الهوياتي البناء.

الكلمات المفتاحية: التنشئة الثقافية؛ الهوية الجزائرية؛ الأنثروبولوجيا الطبية؛ الثقافة؛ الصحة النفسية-الاجتماعية.

Abstract:

This study examines the mechanisms through which enculturation shapes Algerian identity in the context of contemporary social transformations. It adopts an anthropological approach that combines theoretical analysis with field research based on semi-structured interviews conducted in 2024 with participants from different generations and socio-economic backgrounds. The findings reveal a structural gap between primary culture, transmitted through the family and kinship networks, and secondary culture, conveyed through formal institutions such as schools, leading to the emergence of hybrid identities.

ممارسات التنشئة الثقافية بالمجتمع الجزائري واشكاله بناء الهوية: مقارنة أنثروبولوجية



The study also highlights the pivotal role of enculturation in psychosocial health, demonstrating that identity coherence and the conscious negotiation of identity are associated with positive psychological resources. This finding is further supported by longitudinal field studies showing that a strong attachment to one's original culture serves as a protective factor for mental health. Finally, the study emphasizes the need to develop intermediary cultural and educational policies that acknowledge internal diversity and provide frameworks for constructive identity negotiation.

Keywords: enculturation, Algerian identity, medical anthropology, acculturation, psychosocial health.

مقدمة

تستمد الهوية الجزائرية تفرداً من موقعها كملتقى تاريخي لتقاطع طبقات حضارية متراكمة، التأثيرات المتوسطية والإفريقية، هذا التراكم يشكل رصيماً حضارياً وتراثاً غنياً يُنتج حقل تفاعل ديناميكي تتكامل فيه الأنساق الرمزية والثقافية المتنوعة للأمة والتي تقوم على الإسلام والعروبة والامازيغية. في العصر الحالي، تضيف تحديات العولمة والتحول الرقمي طبقة جديدة من التعقيد لهذا المشهد، حيث تُعرّف العولمة بأنها "تلك العمليات التي تنطوي على تشابك للمعارف واعتماد الناس بعضهم على بعض، مع إزالة الحدود بين الثقافات من خلال التبادل السريع للسلع والأفكار" (Appadurai, 1996, p. 27)

لا تُختزل التنشئة الثقافية في كونها أداة نقل سلبي لتراث ثقافي، كما قد يوحي النموذج الكلاسيكي لمدرسة الثقافة والشخصية. (Benedict, 1934) بل إنها تتحوّل إلى عملية تفاوضية نشطة أين يتلقى الفرد منذ طفولته الأولى رسائل ثقافية متنوعة من مؤسسات مختلفة: الأسرة الحافظة للذاكرة العائلية والمحلية، "المدرسة الحاضنة للخطاب الوطني الموحد الذي يسهم في إثراء الهوية الوطنية الجامعة وتعزيز أبعادها المتكاملة في ظل التحديات المعاصرة، تجعل من الفرد كائناً يعيش عملية بناء وإعادة بناء

مستمرة للهوية ويصنع منها معنى لوجوده الاجتماعي في مواجهة تعددية النواقل الثقافية.

1. الإشكالية:

تشهد المجتمعات المعاصرة تحولات عميقة في آليات نقل الثقافة بسبب تأثير العولمة والثورة الرقمية، مما يهدد استمرارية النماذج التقليدية للتنشئة بانتقالها من نقل ثقافي أحادي الاتجاه وسلس داخل إطار مغلق إلى حقل تفاوض مفتوح حول الممارسات الثقافية. وفقا لفريدريك بارت لا تتفاعل الهويات والحدود الثقافية كمعطيات ثابتة، بل بوصفها "نتائج تنظيم اجتماعي... تخضع لعملية مستمرة من التعبير والتفاوض". (Barth, 1969, p. 17)

وفيما يخص المجتمع الجزائري فالفرد الجزائري يتفاعل مع مستجدات العصر والتعدد الرقمي والثقافي من خلال وعيه الثقافي المتجذر، مما يتيح له إثراء معارفه مع الحفاظ على مقومات هويته الوطنية الثابتة، بناءً على ما سبق يتشكل السؤال المركزي للبحث كما يلي: كيف تؤثر ممارسات التنشئة الثقافية في ظلّ التحولات المجتمعية والتقنية على بناء الهوية، وما انعكاسات ذلك على الصحة النفسية-الاجتماعية للأفراد؟

لتجزئة هذا السؤال المركزي إلى مكوناته القابلة للبحث، تُصاغ الأسئلة الفرعية التالية:

- ما هي الآليات الرئيسية (تقليدية وحديثة) للتنشئة الثقافية في المجتمع الجزائري؟
- كيف تُنتج الفجوة بين "الثقافة الأولى" و"الثقافة الثانية" في السياق الجزائري وتأثيرها على تكوين الهوية؟
- ما طبيعة العلاقة بين ممارسات التنشئة الثقافية والصحة النفسية-الاجتماعية للأفراد؟

تُعدّ هذه الإشكالية وأسئلتها إسهاماً أنثروبولوجياً في فهم كيفية بناء الهوية في المجتمعات التي لم يعد النموذج الأحادي للثقافة والشخصية كافياً لفك تعقيدات الوجود الفردي والجمعي بها.

2. الإطار النظري والضبط المفاهيمي:

1.2 الإطار النظري التكاملي:

تستند الدراسة إلى دعامتين نظريتين متكاملتين، ارتأينا أنّ الجمع بينها ليس ميكانيكياً بقدر ما هو حوار نظري يُنتج لنا آلية تحليلية، ويُؤسّس لأنثروبولوجيا تفاوضية قادرة على تفسير تعقيد الهوية في السياق الجزائري.

يخلق هذا التوليف دائرة تفسيرية: يقدم البُعد الأول (الثقافة والشخصية) مفهوم "النمط"، ويحلله البُعد الثاني (الأنثروبولوجيا الطبية) النتيجة الإنسانية لهذا التفاوض على مستوى الرفاه النفسي-الاجتماعي. هذا ليس تجميعاً، بل هو بناء أنثروبولوجي قادر على تفسير خصوصية الحالة الجزائرية دون الانغلاق في فرديتها، مستفيداً من القوة التفسيرية للنظريات الكبرى دون الوقوع في عموميتها المجردة.

2.2 مدرسة الثقافة والشخصية – تأسيس مفهوم النمط وإعادة قراءته:

تشكّل المدرسة الأنثروبولوجية لـ "الثقافة والشخصية"، والتي بلورتها أعمال مارغريت ميد وروث بنديكت حجر الزاوية التأسيسي لفهم التنشئة الثقافية. تكمن قوة هذا البُعد النظري في تقديمه لفكرة "النمط الثقافي" كإطار تحليلي مركزي، ولقد لخصت بنديكت فكرتها المحورية القائلة بأنّ "كلّ ثقافة تختار من قوس الإمكانيات الإنسانية بعض الخصائص التي تمنحها أولوية فتعمل على تطويرها في حين تهمل الأخرى" (Benedict, 1934, p. 24)، تتشكّل الشخصية الأساسية للأفراد انطلاقاً من هذه الأنماط التي تُنقل عبر آليات التنشئة داخل الجماعة الثقافية.

ولقد أسست ميد من خلال دراستها الإثنوغرافية في ساموا، لفكرة محورية مفادها أنّ الفرد لا يواجه العالم بصفته صفحة بيضاء، بل نجده يُغمّر منذ ولادته في نسيج ثقافي جاهز يُشكّل احتمالات نموه. كما لخصت حجة كتابها بقولها أنّ الطبيعة البشرية قابلة للطرق بشكل لا يُصدق، تستجيب بدقة وتناقض للظروف الثقافية المتناقضة". (Mead, 1928, p. 16) فبالرغم من أنّ مصطلح "Patterns of Culture" مرتبط أكثر ببنديكت، فإنّ عمل ميد الميداني دعم فكرة أنّ لكلّ ثقافة "نمطاً" خاصاً يُشكّل شخصية أفرادها، وكيف أنّ أنماط التنشئة المختلفة في الرعاية والانضباط تُنتج أنماطاً مختلفة من الشخصية البالغة.

لا تتوقف دراستنا عند استقبال هذا النموذج بوصفه حقيقة ساكنة، بل تُعيد قراءته وتوظيفه بشكل نقدي وإبداعي لخدمة تحليل السياق الجزائري المعقّد. فـ "قوس الإمكانات" الذي تتحدث عنه بنديكت يتحول في الحالة الجزائرية إلى مخزون تاريخي زاهر ومتراكم (أمازيغي، عربي-إسلامي، متوسطي-إفريقي، والارث التاريخي المرتبط بفترة الاستعمار وما خلفه من آثار، عالمي). وعليه لا تنحصر عملية "الاختيار" و"النمذجة" في نسق واحد، بل تجري في ساحة موازية تتقاطع فيها خطابات وأنساق ثقافية متعددة كلّ منها يروي "النمط" الجزائري من منظور مختلف.

3.2. الأنثروبولوجيا الطبية – الرفاه النفسي كنتاج للتماسك الثقافي:

يؤسّس هذا البُعد على الإرث النظري للأنثروبولوجيا الطبية ممثلاً بالعمل التأسيسي لآرثر كلاينمان (Kleinman, 1988)، الذي يقوم على تفكيك الثنائية الكلاسيكية بين الجسد والثقافة. فيقرّر بأنّ الصحة والمرض ليستا وقائع بيولوجية محايدة بل هي "تجارب معنوية متجذرة في السياقات الثقافية والعلاقات الاجتماعية". (Kleinman, 1988, p. 3) فالنظام الثقافي من خلال

توفيره إطاراً من المعاني والقيّم والروايات المشتركة، يمنح التجربة البشرية تماسكاً وجودياً يُترجمُ إلى رفاهٍ نفسي-جسدي.

في سياق إشكالية الهوية الجزائرية، يتيح هذا المنظور قراءة الاضطراب النفسي-الاجتماعي المرتبط بصراع الهويات بعيداً عن كونه مجرد أعراض فردية بل بكونه تجليات لـ "مرض معنوي" هذا النوع من المعاناة ينشأ عندما تتعطل أو تتناقض الأنظمة الثقافية- التي تشكلها مؤسسات التنشئة المتعددة -فتفشل في تزويد الفرد بإطار متماسك لفهم ذاته وعلاقته بالعالم، بعبارة أخرى يُشكّل افتقاد التماسك الهوياتي عامل خطر على الصحة النفسية. تربط بين العالم الرمزي والتجارب النفسية-الجسدية، مفهمة الصحة والمرض كـ "تجارب معنوية" متجذرة في السياق الثقافي، مما يمكننا من ربط إشكالية التنشئة مباشرة بمخرجات الصحة النفسية.

تتلقى هذه الرؤية النظرية دعماً تجريبياً قوياً من الأدبيات الكمية في علم النفس الثقافي، ففي دراسة طولية محورية استخدمت نمذجة المعادلات الهيكلية، توصلت إلى وجود ارتباط إيجابي ودالّ بين قوة التنشئة الثقافية ومؤشرات الصحة النفسية الإيجابية بين أفراد الأقليات، حيث برزت قوة الارتباط بالثقافة الأصلية غالباً كعامل وقائي (Meca et al., 2018). توضّح هذه النتائج أنّ التماسك الهوياتي الناجم عن تنشئة ثقافية فاعلة يعتبر مورداً نفسياً-اجتماعياً مركزياً يمكن أن يخفف من وطأة الضغوط الناجمة عن التثاقف أو الصراع الثقافي الداخلي.

لا يقتصر دور هذا البُعد على استكمال الإطار النظري، بل يرفع سقف التحليل من مجرد وصف آليات التنشئة إلى تقييم عواقبها الإنسانية المباشرة. إنه يحوّل "فجوة الثقافة الأولى/الثقافة الثانية" و"الهجينة الهوياتية" من مصطلحات تحليلية مجردة إلى متغيّرات تفسيرية لفهم التباين في الرفاه النفسي

داخل المجتمع الجزائري. هكذا لا تقتصر عملية التنشئة الثقافية على مسألة بناء الهوية فقط بل تُضحي قضية صحة عامة، ويكون نجاحها أو إخفاقها مقروءاً في جسد وذهن الأفراد.

3.3 الضبط المفاهيمي:

1.3.3 التنشئة الثقافية (Enculturation): العملية الديناميكية التي يستوعب من خلالها الفرد منذ الطفولة المعتقدات والقيم والأعراف والممارسات الخاصة بجماعته الثقافية الأصلية. (Herskovits, 1950; Weinreich, 2009)

2.3.3 التثاقف (Acculturation): التغيرات الثقافية والنفسية الناتجة عن الاتصال المباشر والمستمر بين مجموعات ذات تقاليد ثقافية مختلفة (Redfield et al., 1936).

يُقدّم وينريش (Weinreich, 2009) تمييزاً حاسماً بين التنشئة الثقافية (Enculturation) بوصفها عملية استيعاب الفرد لعناصر ثقافته المرجعية الأصلية (عملية داخلية)، والتثاقف الذي ينطوي على التغيرات الناتجة عن الاتصال المباشر والمستمر بين مجموعات ثقافية مختلفة (عملية تفاعلية).

تستثمر الدراسة في الحجة المركزية التي يقدمها وينريش، والمتمثلة في أن "التنشئة الثقافية، وليس التثاقف، هي غالباً العملية الأكثر أهمية فيما يخص قضايا الهوية. (Weinreich, 2009, p. 124) "غير أنها لا تقف عند حدود تطبيق هذا الإطار على الهجرة والشتات، بل تقوم بتوطينه وتوسيعه لخدمة تحليل إشكالية الهوية في المجتمع الوطني متعدد الطبقات الثقافية.

3.3.3 الهوية الهجينة: (Hybrid Identity) الهوية الناتجة عن التفاعل المستمر بين أنظمة ثقافية متعددة ومتداخلة، تتسم بالمرونة والقابلية لإعادة التعريف.

4.3.3 الهوية الثقافية/الإثنية: الإحساس الذاتي والجمعي بالانتماء إلى جماعة ثقافية محددة، المستند إلى مشاركة عناصر رمزية ومشاعر المشترك. هي بنية ديناميكية قابلة لإعادة التعريف. (Cuhe, 2004; Hall, 1996)

5.3.3 الصحة النفسية-الاجتماعية (Psychosocial Health):

تُعرّف بحسب منظور منظمة الصحة العالمية على أنها: "حالة من العافية يستطيع فيها الفرد إدراك قدراته الخاصة، والتكيف مع الضغوط الطبيعية للحياة، والعمل بشكل منتج ومثمر، والقدرة على الإسهام في مجتمعه (World Health Organization, 2004, p. 12). وهي ترتبط عضوياً بجودة الاندماج الاجتماعي وتماسك الهوية الثقافية، وفقاً للمنظور الأنثروبولوجي-الطبي الذي يرى في الصحة تجربة معنوية. (Kleinman, 1988) "

6.3.3 الوسيط الثقافي: (Cultural Mediator) الفاعل الذي يقوم ب الوساطة الثقافية (Cultural Mediation) بين أنظمة ثقافية مختلفة لفاعل الذي ييسر التفاعل التربوي بين الخبرات الثقافية التي يكتسبها المتعلم في الأسرة وتلك التي تعززها المدرسة، بما يحقق الانسجام بين مؤسسات التنشئة في إطار الهوية الوطنية المشتركة، مستوحى من عمل زاخارتشوك (Zakhartchouk, 1999) حول دور المعلم كناقل بين ثقافة التلميذ وثقافة المدرسة.

3.3.6-المواءمة للسياق الجزائري: الحامل/الوسيط الثقافي: الفاعل الذي يسهل التفاوض الثقافي بين "الثقافة الأولى" العائلية و"الثقافة الثانية" المدرسية، مماثلاً لدور "المعلم الحامل الثقافي" في نموذج زاخارتشوك. (1999)

4. المنهجية والإجراءات الميدانية:

تبنت الدراسة مقارنة أنثروبولوجية تجمع بين التحليل النظري-المفاهيمي والبحث الميداني، مع إجراء مقابلات نصف موجهة مع أفراد من أجيال ومستويات اجتماعية مختلفة خلال سنة 2024. ولقد تم تحليل نصوص المقابلات باستخدام تحليل الموضوعات عبر الخطوات التالية: الإمام بالبيانات، التشفير الأولي، استخراج الموضوعات، المراجعة والتحليل، الكتابة التحليلية.

5. التحليل والمناقشة:

استمرارية الآليات التقليدية وإعادة اختراعها: الحكاية الشعبية كأداة للتنشئة الخفية على الرغم من تحولات العولمة، تظل الآليات غير الرسمية للتنشئة الثقافية فاعلة مما يؤكد استمرارية فكرة "النمط الثقافي" ومع ذلك تُظهر البيانات تبديلاً في وظيفة هذه الآليات. فالحكاية الشعبية التي كانت تُنقل كترفيه تُعاد اليوم قراءتها من قبل الجيل الأكبر كأداة واعية لـ "النمذجة" الأخلاقية. إحدى المبحوثات (أنثى، 68 سنة) لخصت الأمر بقولها:

"كنا نخشى قصة 'الغول'... أما اليوم فأرى أنها لم تكن قصة وحش، بل درس في الحذر من الغرباء والثقة بكبار السن. لقد تغلغلت الأخلاق في صلب القصة".

هذا الاستبصار الذاتي من قبل الروافد الثقافية التقليدية يُظهر انتقال الآليات من اللاوعي إلى الوعي، حيث يُعاد تفسير "القوس الثقافي" الجزائري وانتقاء عناصره بشكل مُتعمد لنقل قيم محددة، في محاولة للحفاظ على تماسك ثقافي في مواجهة تيارات التغيير.

1.5 الفضاء الرقمي: مختبر للتنشئة الثقافية المعكوسة:

يُمثل الفضاء الرقمي الساحة الأبرز للتفاعل المعقد بين قوى التنشئة الثقافية والثقاف، وفق التمييز الحاسم الذي وضعه وينريش (Weinreich, 2009)

تبرز هنا ظاهرة أنثروبولوجية ملحوظة "التنشئة الثقافية المعكوسة" يتحول الشباب من متلقين سلبيين إلى "روافد ثقافية نشطة: تصف: (ك.ز. أنثى، 36 سنة) صفحاتها على وسائط التواصل الرقمي مثل الفايسبوك والميسنجر والتيك توك): "أقوم بإنشاء محتوى عن الحرف التقليدية مثل تطريز "كاراكو"... أتلقى رسائل من جزائريين في الخارج ممن نسوا هذه التقاليد ومن أجنبي يكتشفون ثقافتنا... أعلم هويتي لأشرحها للآخرين".

هذه الممارسة هي بمثابة التجسيد العملي لفكرة وينريش (2009) حول "إعادة صياغة العناصر الثقافية" كعملية مركزية في الحفاظ على الهوية الإثنية في العصر الحديث. إنها تنشئة ثقافية نشطة وذاتية القيادة، حيث يتم استرجاع عناصر من "الثقافة الأولى" وإعادة إنتاجها بلغة وأدوات "الثقافة الثانية" الرقمية والعالمية.

2.5 الصحة النفسية-الاجتماعية: التماسك الثقافي كعامل وقائي:

تؤيد النتائج وجود علاقة بين طبيعة عملية التنشئة والرفاه النفسي-الاجتماعي، فلقد أظهر المشاركون الذين نشأوا في بيئات نُوقشت التناقضات فيها بشكل صريح، أو كانت الرسائل الثقافية متسقة نسبياً: وضوحاً هوياتياً ومرونة نفسية أعلى، على عكس أولئك الذين واجهوا تناقضات حادة وغير مُعلنة عبّروا عن قلق هوياتي

صرحت المبحوثة (ن. ع. أنثي، 23 سنة): "في الجامعة، كان الزملاء يسخرون من لهجتي المحلية ويصفونها بـ"لغة الجبال" أمّا في المنزل فكانت أُمي تتحدث عنها بفخر... شعرتُ بالانقسام لا أنتهي إلى هنا ولا إلى هناك...". تؤكد هذه "المعاناة المعنوية" فرضية كلاينمان (Kleinman, 1988) بأن "المعنى الثقافي المُشار، هو مورد أساسي للصحة النفسية. هذا المفهوم النظري يجد دعماً تجريبياً في نتائج دراسة ميكا وزملاؤه (Meca et al., 2018) التي وجدت أن "قوة التنشئة الثقافية غالباً ما تعمل كعامل وقائي (p. 1850) "في السياق الجزائري، فهو يشير إلى أن "التماسك الهوياتي-الناتج عن قدرة الفرد على نسج سردية ذات معنى من خيوط ثقافية متعددة -هو مورد وقائي حاسم. تُظهر الدراسة أن الهوية الهجينة الناتجة عن هذا التفاوض يمكن أن تكون مصدر قوة أو ضعف.

الخاتمة

لن نخزل خلاصة هذه الدراسة في مجرد تأكيد تحول التنشئة الثقافية الجزائرية من نموذج نقل أحادي إلى حقل تفاوض معقد، بل في كشفها عن المعادلة الوجودية الجديدة التي تحكم مصير الهوية والرفاه. لقد بين التحليل أنّ الجزائر بوصفها مختبراً تاريخياً حياً تشهد عملية إعادة هندسة جذرية لشبكة الروافد الثقافية.

الاستنتاج الحاسم الذي تبلور من المعطيات يكمن في شرطية النتيجة النفسية-اجتماعية. فالتنوع الثقافي داخل الهوية ليس مرضياً ولا إنجازاً حتمياً، بل هو حالة مُحايِدة تُكتسب قيمتها من جودة الوساطة الثقافية التي تحيط بتشكيلها. لقد وقفنا على أنّ الهوية الهجينة المتفاوض عليها بنجاح – كما في حالة الشباب الذين يحولون التراث إلى محتوى رقمي عالمي – تُنتج تماسكاً أنوياً يصبح رأس مال رمزياً للمرونة والإبداع. وفي المقابل، فإن عدم انسجام التنشئة بين البيئة الأسرية والمحيط المدرسي قد يخلق تحديات في التكيف النفسي والتربوي لدى المتعلم، مما يستدعي تعزيز آليات المرافقة النفسية والتربوية". هذا التباين لا يفسره تنوع المصادر الثقافية، بل القدرة على تحويل التعدد من مصدر صراع إلى مادة بناء.

من هنا، تتجاوز إسهامات الدراسة الإطار الوصفي لتقدم ثلاثة مرتكزات تحليلية جديدة:

نظرية الوساطة كمتغير حاسم: بتحويل مفهوم زاخارتشوك (1999) عن الحامل الثقافي من فكرة تربوية إلى متغير أنثروبولوجي تفسيري، تظهر الدراسة أن نجاح أي مؤسسة تنشئية (مدرسة، أسرة، منصة رقمية) لا يُقاس بقدرتها على النقل، بل بقدرتها على الوساطة الفاعلة بين الأنظمة الرمزية المتعددة التي يتعرض لها الفرد.

إعادة تعريف الصحة النفسية-الاجتماعية في السياق التعددي: أبرزت الدراسة -مدعومة بأدلة كمية (Meca et al., 2018) ونوعية -أنّ التماسك هو مهارة تفاوضية مكتسبة. وأنّ الصحة النفسية-الاجتماعية، هي حصيلة كفاءة الفرد والمجتمع في إدارة تعددية المراجع وتوليد معنى مشترك منها، وليست حالة سكون ناتجة عن الانسجام المسبق.

تحويل "المرض المعنوي" إلى أداة تشخيص مجتمعي: تقدم الدراسة تطبيقاً عملياً لأنثروبولوجيا كلاينمان الطبية، حيث يصبح "القلق الهوياتي" و"الاغتراب" الموصوفان في المقابلات أعراضاً تشخيصية وليس فشلاً فردياً، بل صورة عن عدم توفير أطر وسيطة للتفاوض حول المعنى من قبل النظام الثقافي-التنشئي الجماعي.

نخلصُ إذن إلى أنّ إجابة الدراسة على سؤالها المركزي ليس حكماً على مصير الهوية الجزائرية، بل هو رسم لخريطة الشروط التي تحدد هذا المصير. لم تعد التنشئة الثقافية تقتصر على نموذج أحادي المصدر، بل أصبحت نتاج تفاعل بين رواقد ثقافية متعددة ضمن إطار الهوية الوطنية الجامعة.

مصير الهوية الجزائرية -وما يرتبط به من رفاه نفسي-اجتماعي -مرهون بقدرتنا الجماعية على تأهيل مؤسساتنا لتصبح فضاءات للوساطة الذكية.

لقد انتقل التحدي من الحفاظ على تراث في متحف، إلى تحويله إلى أدوات حيّة للتفاوض الناجع.

بناءً على هذا الاستنتاج؛ نصل إلى أنّ مستقبل الصحة النفسية-الاجتماعية للجزائريين لا يُصنع في عيادات الأطباء وحدها، بل في قدرة المدارس على أن تكون جسوراً، وفي إمكانية تعزيز الخطاب التربوي والثقافي بما يدعم استيعاب التنوع الثقافي، وفي استطاعة الفضاء الرقمي على أن يكون مُعيد إنتاج

واع. هذه هي الأنثروبولوجيا التطبيقية التي تدعو إليها هذه الدراسة: قراءة الواقع المعقد بغرض فهم شروط البناء في زمن التعدّد.

التوصيات:

- تقدم هذه الورقة جملة من التوصيات المتدرجة والمتراطة وهي:
- تأهيل المعلم بوصفه وسيطاً تربوياً وثقافياً عبر تعزيز كفاءاته اللغوية والتربوية في التعامل مع التنوع الثقافي في إطار اللغات الرسمية والوطنية والتواصل التربوي السليم المدرج في إطار المرجعية الوطنية والثوابت المنصوص عليها في التشريع الجزائري، مهارات تعزيز قيم المواطنة والهوية الوطنية والتنوع الثقافي الإيجابي. ودمج رؤى أنثروبولوجية تربوية وطبية.
 - دعم "اقتصاديات الوساطة الثقافية الرقمية": "من خلال حاضنات وبرامج منح تستهدف الناشطين الرقميين الذين ينتجون محتوى نوعياً يعيد "تقديم" التراث والقيم المحلية في إطار معاصر.
 - تأسيس منصات حوارية بين جيلية مؤسسية: باستخدام تقنيات التيسير الأنثروبولوجي لإدارة حوار مجتمعي منهجي حول قضايا الصحة العامة والبحث: من العلاج الفردي إلى الوقاية المجتمعية الثقافية.
 - تطوير برامج إرشادية وتربوية تراعي العوامل المؤثرة في بناء الهوية، وتساهم في تعزيز الصحة النفسية والتماسك الاجتماعي.
 - إطلاق دراسة طولية وطنية: لتتبع تأثير متغيرات الوساطة الثقافية والتماسك الهوياتي على تطوّر الصحة النفسية-الاجتماعية لعينة ممثلة من الأطفال والشباب الجزائريين لتأسيس سياسات مبنية على أدلة قوية.

قائمة المراجع:

APPADURAI, Arjun, 1996. *Modernity at Large: Cultural Dimensions of Globalization*. Minneapolis: University of Minnesota Press.

BARTH, Fredrik, ed., 1969. *Ethnic Groups and Boundaries: The Social Organization of Culture Difference*. Boston: Little, Brown.

BENEDICT, Ruth, 1934. *Patterns of Culture*. Boston: Houghton Mifflin.

CUCHE, Denys, 2004. *La notion de culture dans les sciences sociales*. 3rd ed. Paris: La Découverte.

HERSKOVITS, Melville J., 1950. *Man and His Works: The Science of Cultural Anthropology*. New York: Alfred A. Knopf.

KLEINMAN, Arthur, 1988. *The Illness Narratives: Suffering, Healing, and the Human Condition*. New York: Basic Books.

MEAD, Margaret, 1928. *Coming of Age in Samoa*. New York: William Morrow.

MECA, Alan; SCHWARTZ, Seth J.; MARTINEZ, Carlos R. and McCLURE, Hillary H., 2018. Longitudinal effects of acculturation and enculturation on mental health: Does the measure matter? *Development and Psychopathology*, 30(5), pp. 1849–1866. Available from: <https://doi.org/10.1017/S0954579418001165>

WEINREICH, Peter, 2009. 'Enculturation', not 'Acculturation': Conceptualising and Assessing Identity Processes in Migrant Communities. *International Journal of Intercultural Relations*, 33(2), pp. 124–139. Available from: <https://doi.org/10.1016/j.ijintrel.2008.12.006>

WORLD HEALTH ORGANIZATION, 2004. *Promoting Mental Health: Concepts, Emerging Evidence, Practice: Summary Report*. Geneva: World Health Organization.

ZAKHARTCHOUK, Jean-Michel, 1999. *L'enseignant, un passeur culturel*. Paris: ESF Éditeur.